الحديثة وعلى رأسها الحضارة الغربية بدرجة ما بالتراث والقيم المسيحية. والسؤال هو ما دور الدين فى التأثير على بناء الحضارة؟.

نعرض فيما يلى أراء بعض المؤرخين والفلاسفة الغربيين فى علاقة الديانة المسيحية بالحضارة، ونبدأ بتلخيص الآراء المختلفة التى استعرضها المؤرخ البريطانى الشهير آرنولد توينبى فى محاضرته التى ألقاها فى جامعة أكسفورد فى عام ١٩٤٨م عن العلاقة بين المسيحية والحضارة الأوربية[٤]. يقول توينبى: إن هناك ثلاثة آراء حول علاقة المسيحية بالحضارة الأوربية. الرأى الأول ما قال به المؤرخ الانجليزى ادوارد جيبون الذى كتب فى القرن الثامن عشر عن انحطاط وسقوط الامبراطورية الرومانية، وهو أن المسيحية كانت هادمة للحضارة الإغريقية – الرومانية التى بلغت أوجها فى القرن الثانى الميلادى، ثم بدأت فى الانحدار بانتشار المسيحية فى القرن الميلادى الرابع. لخص جيبون أطروحته فى نهاية كتابه المذكور بقوله: لقد وصفت فى هذا الكتاب انتصار البربرية والدين، يعنى أن البربرية والمسيحية هما اللتان انتصرتا فأديتا إلى سقوط الحضارة الرومانية. وأيد جيبون فى أطروحته سير جيمس فريزر (١٨٥٤–١٩٤١) عالم الاجتماع البريطانى الذى كان أكثر وضوحاً وتفسيراً فى مقولته: كان المجتمع الاغريقى والرومانى يقوم على خضوع الفرد للجماعة وخضوع المواطن للدولة مما أدى إلى تغليب المصلحة المشتركة كهدف أسمى مقدم على سلامة الفرد فى هذا العالم أو الذى يليه، ومن ثم ضحى المواطنون بمصالحهم الذاتية من أجل النفع العام. ولكن تغير هذا الوضع بانتشار الديانات الشرقية (المسيحية) التى تغرس فى النفس مشاركة الروح مع الله وخلاصها الأبدى وتجعلها الهدف الوحيد الذى يستحق الحياة، مما جعل ازدهار الدولة بل ووجودها ينحدر إلى درجة صغيرة فى الأهمية. واعتبر أن ذلك الاعتقاد الأنانى واللا أخلاقى يجذب المؤمن بأن يفكر فقط فى عواطفه الروحية محتقراً هذه الحياة الدنيا. وقد رفض توينبى هذا الرأى لأن تدهور الحضارة الرومانية فى تقديره قد بدأ منذ القرن الثانى الميلادى أى قبل انتشار المسيحية فى أوربا.

الرأى الثانى هو الذى يقول بأن المسيحية هى بمثابة البيضة والشرنقة بين الفراشة ومولودها، أى أنها الحاضنة بين الحضارة المنتهية والحضارة الجديدة، فقد لعبت المسيحية دوراً مفيداً لكنه ثانوياً فى ميلاد الحضارة العلمانية التى ظهرت طلائعها فى غرب أوربا فى القرن الثالث عشر على عهد الملك الجرمانى استوبر موندى فردريك الثانى (١٢١٢–١٢٥٠)، ويقول توينبى أن هناك حالات مشابهة لذلك فى الإسلام والهندوسية